



الجزء الثاني





الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

اسم الكتاب	صلاح الأسرة ودور الأبوين في التربية ٢
تأليف	عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

عدد الصفحات	٨٢	قياس القطع	١٣,٨×٩,٨

اعتنى بخدمته

مَكتبُ النُّور

alnoortarim@gmail.com



تصميم فني وإخراج	عمر محمد باحماله







صلاح الأسرة ودور الأبوين في التربية

الجزء الثاني

للعلامة المربي الحبيب

عُمَر بن مُحَمَّد بن سَالِم بن حَفِيظ

ابن الشَّيخ أبي بكر بن سَالِم

مراجعة

عبدالله علي بن خميس – فهمي علي بن عبيدون



هذا الكتاب تم جمعه من محاضرات ألقاها الحبيب العلامة عمر بن محمد بن حفيظ






بسم الله الرحمن الرحيم






الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على نبراس الهدى ، وكنز الغنى ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه نجوم هديه وترجمان أمره ونهيه.

وبعد فمن المعلوم أن التربية من أهم ركائز إقامة الخلافة على ظهر الأرض ، وعليها مدار صلاح العالَم أو فساده ، فوجب على الآباء والأمهات تجاه أبنائهم مسؤولية الإعداد لهم ليكون ذواتاً صالحة ومصلحةً في مجتمعاتهم لا معاول هدمٍ للقيم والمبادئ والأخلاق.

وهنا نضع بين يديك عزيزي القارئ الجزء الثاني المتضمِّن لجملة من قواعد التربية للأبناء والبنات لتكون منطلقاً لنا في أداء رسالتنا في حسن التربية والإعداد لفلذات أكبادنا المستقاةِ مِن مبادئ ديننا الحنيف وشريعته السمحاء .




وهو بعض ما أجراه الله على لسان العلامة المربي الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ في عدد من المحاضرات التي ألقاها في هذا المجال .

نسأل الله أن يعيننا على أداء هذه المهمة حق القيام إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الناشر

مكتب النور بتريم




مَعَالم التربية ..

(استشعار خطر المسئولية - الدعاء - الصحبة)

المعلم الأول : استشعار خطر المسئولية :

المسئولية تجاه تربية الأبناء كبيرة ، سواءً في الدنيا مع قِصَرِها وفنائها مِن جهات متعددة ، أو ما هو أهم مِن ذلك وأكبر مسئوليتنا عن هؤلاء الأبناء بعد الموت ، وأحوالنا معهم في القيامة ثم في دار الاستقرار جمعنا الله وإياهم في جنات تجري مِن تحتها الأنهار.




فنحن على مراتب في استشعارنا الأمانة نحو هؤلاء الأولاد الذين هم ذواتٌ لا يوجد في عالم الدنيا ما يمكن أن يُقايَس بها .

حضرنا مرةً تكرمةً في باكستان لمنشدٍ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، أرادوا تكرمته فجاءوا بميزان كبير ووضعوه في كفة وملئوا الكفة الثانية بالفضة حتى وزنوه ..

حَضر معنا بعض العلماء مِن الشام فقال : أظن أن هذا العمل ليس عملاً صحيحاً !! .. لأن الإنسان لا يمكن أن يوزن بفضةٍ ولا بذهبٍ ولا بغيرهما، ويكفي أن يجري شيءٌ مِن التكرمة تعبيراً عَن




الإعظام والإكرام لكن مِن غير هذا التصرف .

والكلامُ صحيح .. فما هناك شيءٌ يمكن أن يوازي أبنائنا وأفلاذ أكبادنا الذين هم محل النظر الإلهي ومحل الاختيار الرباني ومحل الأمانة الكبيرة ..

إذنْ فَهُم الثروة الكبيرة التي عندكم إذا أدركتم الحقيقة، وهي ثروة لا تساويها الوزارات ولا الدول ولا ما في العالم كله ..

مُرادنا مِن هؤلاء الأبناء أَنَّها ذوات مكرمة مطهرة تتهيأ لمرافقة الملأ الأعلى، وللدرجات العلى في الجنة ، ولنيل المعرفة بالله تبارك وتعالى في الدنيا،




فيجب أن يرسخ ذلك في أذهاننا أولاً ، وهو المعْلَم الأول .

فنحن أمامَ مسألةٍ أكبر مِن أن نُعِدَّه لأن يكون موظفاً أو جالبًا للدراهم والدنانيرِ ، أو نُعِدَّه ليكون عوناً على حياتنا الفانية هذه كلها مهما حَسُنَتْ أو لَذَّتْ فهي حقيرةٌ بالنسبة لما يطلبه أولو الألباب وعباد الرحمن الذين يقولون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] وقرة الأعين هم الذين ترتفع بهم درجاتك وتكثر بهم مثوباتك وتموتُ فلا تموتُ حسناتُك ..




هؤلاء هم قرة الأعين .. المكسب منهم أكبر مِن أن يجعلونك رئيساً لأكبرِ دولةٍ في العالم .

ماذا ستفعل لو كنتَ رئيسَ أكبر دولة في العالم ؟ وما النتيجة و الغاية والثمرة والمكسب مِن ذلك ؟

إذنْ فانطلاقنا من مُنْطَلَقِ الإيمان يقوِّم لنا معلمَ استشعارِ عظمة المسئولية وكِبَرِها، وأنها أكبر مِن تفكيرات أهلِ الأرض المقطوعة عن نورانية الوحي السماوي . ففكرهم محصور بالنسبة لفكرنا وقد اتصلنا بتوجيهات ربِّ الأرض والسماء على يد




ولسان سيد أهل الأرض والسماء صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

هذه النقطة الأولى المتعلقة بشأن تربية الأولاد وشأن رعايتهم والقيام بالواجب في حق تنمية ذواتهم مِن خلال صفاتهم ومِن خلال محل نظر الحق إلى قلوبهم جل جلاله وتعالى في علاه . وهي المسئولية التي عبَّر عنها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الحديث بقوله (كُلُّ مَولودٍ يُولَدُ على الفِطرَةِ ، فأبواهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصَّرانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ)[1] وإن لم يكن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ، باب ما قيل في أولاد المشركين (٢/ ١٠٠/ ١٣٨٥) دار طوق النجاة – الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ




التهويد والتنصير والتمجيس بالاسم أحيانا وبالصورة وبالصراحة فقد تتسرب أخلاقُ وصفاتُ النصارى واليهود والمجوس إلى وسط الديار .. بل قد تتحكم برامجهم وسطَ ديارنا وتؤثر على أبنائنا وبناتنا فيكون بذلك الأب قد هوَّدَ أو نَصَّرَ أو مَجَّسَ فِكْر أبناءه ..والعياذ بالله تبارك وتعالى.

المعلم الثاني : الدعاء

والمعلم الثاني الذي نحمل به الهمَّ هو الدعاء لهم .. فالملائكة إذا دعوا للذين تابوا واتبعوا السبيل قالوا في دعائهم: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ




﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٨ – ٩] ليجتمع الكل .

فنحن نحتاج إلى صِدقِ دعاءٍ إلى الله في صلاح أبنائنا وفيما يواجهون ، وخصوصا في مثل هذه الأزمنة ، والمقصِّر الذي لا يهتم بالدعاء لأبنائه بخضوعٍ وخشوعِ قلبٍ يكون له يدٌ في إهمال الأبناء ، ولا يغني عن هذا بعد ذلك شدة الطبع أو الضرب إذا لم يكن له قلبٌ رحيمٌ يدعو ربهم لهم قبل أن يدعوهم هو إلى ربه سبحانه وتعالى .




فيكون ذلك الدعاء هو العُدَّة، وهذا هو المسلك القويم .

ومِن هنا حذّر صلى الله عليه وسلم الآباء عندَ الغضب أن تصدر مِن أحدهم دعوةٌ على ابنه أو بنته، فقد تُستَجاب الدعوة فتحصل نتيجتها ويتكبد الأب بعد ذلك مشاكلها وخسائرَها الكثيرة في الدنيا قبل الآخرة .. يقول عليه الصلاة والسلام: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»(٢)

(٢) أخرجه مسلم ، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٤/ ٢٣٠٤/ ٣٠٠٩) دار إحياء التراث العربي – بيروت




قال بعض الآباء : قلت على ابني كلمة، وأنا اليوم أعاني منها، فلا هو عاقل ولا هو مجنون، ولازِلتُ أعالجه منذ سنين بسبب تلك الكلمة التي خرجت مني فكانت هذه نتيجتها.

فبدلاً مِن الدعاء عليه ينبغي أن تدعو له .. ولو جاء إليك وقتَ غضبك أو وقتَ شدَّتك أو خالفك في أمر فبدل الدعاءِ عليه اعدِلْ إلى الدعاء له، فهذه سنة نبيك محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فقد كان لا يُطْلَبُ مِنه الدعاءُ على قومٍ إلا عَدَلَ مِن الدعاء عليهم إلى الدعاء لهم.




وفي هذا يقول الشاعر :

لا تـــنطقن بـــما كرهـــت فـــربما

نطـــق اللســـان بحـــادث فيكـــون

فلا تقل إذا غضبتَ عليه أنتَ ستكون كذا ، وسيكون مستقبلك كذا، فتنطق بما تتألم مِن حصوله بعد ذلك.

لا تنطق بمثل هذا ، بل بَدّلْهُ بالكلام الطيب الحسن وبالتفاؤل الحسن.

ووقتَ الغضب حيث شرع الحق لك الغضب، فليكن الغضب مِن أجل الله تبارك وتعالى،




ومقيّداً بموازين تتعامل بها على الوجه المطلوب من غير إفراط ولا تفريط.

الرحمة أساس ثابت في التربية :

ومع مسألة الدعاء وأهميته فالأصل في الدعوة والتأثير على الأبناءِ والبنات حقيقةٌ مِن الرحمة، وقلنا حقيقةٌ من الرحمة مِن أجل أن يخرج التساهل في الأمور حتى لا يقعون في المخالفات لأمر ربهم و رسوله أو الخروج عن القيم والمبادئ تساهلاً بدعوى الرحمة، فلا يمكن أن يكون هذا مِن نصيب الرحمة.




كما أنه لا يمكن أن تكون الأوامر والنواهي بالغلظة والقوة والشدة ، حتى تصبح الصورة المرتسمة في البيت وكأنه محلٌّ شرطة وعسكرة وأوامر ونواهي .. فيخافون من أبيهم حين يقبل على الدار.

ولا يكن متساهلاً جداً إلى الحد الذي يكون فيه مسخرة بينهم ، فلا يبالون به إن كان موجوداً أو غير موجود . فلا هيبة ولا احترام ولا رأي ـ الأمر عندهم سواء ـ فلا هذا استقام ولا ذاك استقام . هذا في جانب إفراط والآخر في جانب تفريط .

بل لا بد مِن وجود معنىً مِن الرجولية ومعنى مِن الهيبة لكنها مندرجة تحت المنطلق الأساسي




وهو منطلق الرحمة ، فإن الله لم يشرع التربية إلا رحمةً لعباده ، بل لم يشرع التأديب والعقوبات إلا للرحمة، وما شرع الجهاد في الدين إلا لأجل الرحمة، ولهذا ارتبطت أعمال الجهاد كلها بالرحمة.

يقول الله عز وجلَّ عَن الذين ينقضون العهود وينكثون : ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ٩ – ١١] .




كان يذمهم قبل قليل . كانوا أهل مصائب وأهل مشاكل في الحياة ، لكن إذا تابوا ورجعوا فانْسَوا هذا كله . ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ .

قال أحد الصحابة : (يَا رَسُولَ اللهِّ، إِنِّي لَقِيتُ كَافِرًا فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ يَدِي بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، وَقَالَ: أَسْلَمْتُ لله ، آقْتُلُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقْتُلْهُ» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّهُ طَرَحَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا، آقْتُلُهُ؟ قَالَ: «لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَأَنْتَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ»[٣] ..

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عبيدالله بن عدي، كتاب الديات (٩/ ٣/ ٦٨٦٥) دار طوق النجاة، الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ




فانظر إلى جهاده صلى الله عليه وسلم القائم على الرحمة حتى للمعادي المعاند المقاتلِ وقد قطع اليد ثم قال : أسلمت ؟ ومع ذلك قال له : قِفْ مكانك ولا تقتله.

إِذا انطلقنا مِن الرحمة وجعلنا مِن الرحمة معنى أيضاً مِن الهيبة والوقوف عند بعض الحدود، فلا تصدر كثرة الأوامر في وقتٍ واحدٍ وإن احتجت إليها .. بل اذكر له بعضها وأترك البعض الآخر إلى ما بعد ذلك .. فتأمره بأمر واحد أو بأمرين .. لكن بعد ذلك اصبر .. ولا تقل له اعمل كذا واعمل كذا ، فتُكْثِرْ عليه فيضيق مِن الأوامر كلها فلا يمسك الأول




ولا الأخير، ولكن توجهه وتأمره مِن وقت لآخر ..
ولهذا تحتاج إلى تغافلٍ عَن بعض الأشياء وكأنك لم
ترها منه ، ثم تنبِّهه عليها إذا أمكن بطريق التلويح
قبل التصريح فذلك أحسن ليتفطن وينتبه هو مِن
نفسه، أو يكلمه غيرك ، فتكلمه الأم فهي أحنى
وأعطف عليه منك ، ومن ثُمَّ تكون مواجهتك معه
بالصراحة بعد ما تفشل الأم ويفشل الإخوان الذين
معه ، ولا يكون التصريح إلا في النادر ، فإن واجهته
في كل شيءٍ بالصراحة فستسقط هيبتك وسيتجرأ
عليك، فيكون جريئا على الأمر.




ولكن حينما يعرف أن هذا لا يأتي إلا نادراً فيحسب له حسابَه، ويقول كيف تغيَّر اليوم عليَّ وجهُ أبي، وكيف اطَّلع على عيبي وما إلى ذلك .

إذن فالأوامر و النواهي لا تأتي دفعة واحدة، بل تكون الأوامر والنواهي بعد أن تقيم لها هذه القاعدة ، وانظر أقام نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر سنة بمكة وهو يتكلم عَن الإيمان وأصول الأخلاق فقط ، حتى الصلاة التي هي عماد الدين جاءت بعد إحدى عشر سنة مِن البعثة .




ولو تأَمَّلْنا لوجدنا أن أكثر الأوامر والنواهي جاءت بعد ما ترسخت القاعدة في القلوب مِن الإيمان ومن اليقين ومن المحبة والتعظيم .

فنحتاج إلى أن نُرسِّخ معاني الإيمان في أبنائنا ونأخذ في ذلك العبرة مِن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .




من وسائل ترسيخ معاني الإيمان في الناشئة :

شرع لنا الحق أن نؤذن في أذن الصبي اليمنى ونقيم الصلاة في أذنه اليسرى وهو لا يعرف معنى هذه الكلمات ، وذلك أن هذه الألفاظ بنورانيتها يَلِجُ منها إلى روحه نصيب وإن لم يكن يعرفها في عهده هذا وفي مرحلته تلك ، ومع ذلك ليكن أول ما يطرق سمعه في الدنيا اسم الله : الله أكبر الله أكبر .. لتأثير ذلك عليه .

وقد اكتشفوا الآن في عالم الحس أن الكلام الذي يدور بين الحامل ومَن حَولها أو الذي تردده بلسانها يتأثر به الجنين في البطن ، بل وجدوا أن هذا




مؤثر حتى على المياه ، فالماء الذي يُذْكَرُ عنده الكلام الطيب تختلف تركيبته عن الماء الذي يذكر عنده الكلام الخبيث، وكان يذكر هذا الصالحون ، والحق تعالى يكثر الأمثلة في هذا، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٦] .. وقال تعالى ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النور: ٢٦] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠] وهكذا .. و(الكلمة الطيبة صدقة) .




لهذا ذكر النبي عذاباً شديداً مخصوصاً للذي يبحث في الكلمات عن أقذعها وأخبثها ليتلفظ بها .. فيُهَيَّأ له في جهنم من العذاب ما لا يذوقه غيره، لأنه كان يبحث على أخبث كلمة ليواجه بها الناس ويكلم بها الآخرين .. ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[٤].

إذن فمسموعات الابن والبنت عندك في البيت كثيرة التأثير عليهم، فانظر ماذا يسمعون منك

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. (٨/ ١١/ ٦٠١٨) دار طوق النجاة، الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ




ومن أجهزتك ، ومما يدور وسط البيت ، وماذا يشاهدون؟ .. فمن الطرق القويمة أن يكون لك تحكُّمٌ فيما يسمعونه وفيما يشاهدونه، ولا تنطلق بالسذاجة في عرض أي شيءٍ عليهم فَتَتْرُكُ الحبلَ على الغارب.

تجد الآن بعض الأطفال الصغار يكون أحسن مِن أبيه في استخدام الحاسوبِ مثلاً لأنها جاءت في وقته وانصرف إليها ذهنه بسرعة وصار أفضل مِن والده فيها، فلابُدَّ مِن قوامة في هذا المعنى ولا بد من تحكُّمٍ فيه .. فما كل شيءٍ يسمحُ له أن يراه ولا كلُّ شيءٍ يسمحُ له أن يسمعه .




كذلك في الأوقات أيضا ، لا بد أن يفهم الولد شيئاً مِن قيمة الوقت وقيمة العمر ، فإذا التحق بالمدرسة فلْتُرْبَط دراسته وأعماله كلها بعظمة الله وعظمة رسوله، وأنَّ المقصود مِن هذه المدرسة الله ورسوله .. ليرضوا عنا ولنستقيم على ما أحبوا منا ولنرافق المصطفى في الآخرة .. هذا كلام لا بد أن يسمعه منك ، ولا بد أن يتلقاه ذهنه منك ويفهمه منك ، فتكون بهذا عنصراً مؤمناً رَبَّيْتَ الولد على معنىً عظيمٍ و ربطته بأصلِ الأصول ؛ ربطته بالحبل المتين مِن تعظيم الله وتعظيم رسوله ، فيفهم أن شغلكَ وعملكَ وكلَّ الأشياء التي تقيمها في البيت مربوطة بالله وبرسوله وطَلَبِ رضوان الله ورضوان




رسوله، وأن هذا هو المقصود، وأننا خُلِقْنا مِن أجل هذا .

وتعلمه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وَقَّتَ سِنَّ السبع للأمر بالصلاة - وإن كان قبل ذلك يتهيأ كثيرٌ مِن الأبناء والبنات للصلاة - لكن جعل هذا السن على وجه العموم ، فقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ »(٥) وقد أخذ العلماء مِن هذا أن تعليمه الصلاة يكون قبل السبع ، لأنه لا يمكن أن تأمره

---

(٥) أخرجه أبو داود في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (١/ ٣٣/ ٤٩٥) المكتبة العصرية ـ صيدا




بشيء لا يعلمه .. فتأمره بفعلٍ قد عَلِمَه مِن سابق ، فلا يبلغ السبعَ إلا وقد تصوَّر ما هي الصلاة وكيف يصلي ، فإذا دخل السابعة يكون الأمر بالصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[٦] أي حافظوا على قِيَمِ العفة والأمانة قبل أن يعرفوا شيئاً مِن الشهوات أصلاً ولم تحم حول أذهانهم ، لا يبيتون في مضجع واحد متقاربين ليس بينهم حاجز ..

---

(٦) الحديث السابق .




هكذا جاءت إرشادات النبوة، وهو مؤتمن على البلاغِ للبشر، وهو يَعْلَم ما يُحْدِثُهُ جندُ إبليس في واقع البشر ليصدوهم عن سبيل الله سبحانه وتعالى .. إذن فنحن محتاجون إلى هذا ..

أيضا نحن محتاجون إلى أن يجد الأبناء والبنات مِن أوقاتنا نصيب .. والأوقات التي يقضونها معنا يجب أن يحصلوا فيها عل معنىَ الرحمة ومعنى الانتباه ومعنى التنبيه على بعض الأشياء التي يقعون فيها ..

وقد كانت في مثل هذه البلدة للناس في البيوت جلستان ؛ الجلسة الأولى بعد العشاءِ مباشرة




وتكون ختامية قبل النوم ؛ يستعرضون فيها حال الولد في يومه وكيف هو في مدرسته؟ وأين كان في وقت العصر؟ وأين ذهب بعد المغرب؟ وأين صلى العشاء؟ .. وقد يكون هناك شيء من الفكاهة أو ذكر بعض أخبارهم وتاريخهم في حياتهم يعلمونها أولادهم ثم يتهيؤون للنوم ، وقد كان هذا موجوداً حتى عند عوامهم.

والجلسة الثانية عند الذين تتسنى لهم قهوة الضحى، وتكون أكثر المدارس العلمية الصباحية في هذا الوقت قد انتهت وتهيئوا للوقت الدراسي الثاني وقت الظهر حسب البرنامج الذي كان معهوداً في




السابق في هذه البلدة المباركة . فيجلس كبير الأسرة مع أبناء وبنات الأسرة الذين في الدار مِن أجل استعراض الأعمال اليومية . فيسائلهم : ماذا ستعملون اليوم؟ وما إلى ذلك ..

ويهمنا من ذلك أنه كانت هناك جلسةٌ مِن أولياء الأمور والكبار مع الصغار يشعرون فيها بالرحمة والحنانِ والعطفِ، ويشعرون فيها أيضا باهتمامٍ في القضايا والمسائل ، وأنهم أمام واجباتٍ في حياة معدة للتزود لحياةٍ بعد هذه الحياة ، كل هذه المعاني يستقونها مِن خلال جلستهم ، فيعرفون أن




هناك من يهتم بهم ، وأن ورائهم أيضا رحمةً وحناناً وحرصاً عليهم .

المعلم الثالث : الصحبة :

ثم يأتي التأكد مِن أحد المعالم المهمة مِن معالم التربية القويمة وهي الصحبة .. فالصحبة مِن أعظم المؤثرات عليه، فبعضهم مِن خلال المدارس وبعضهم مِن خلال أوقات ما بعد العصر وبعضهم من خلال أوقات ما بعد المغرب والعشاء تعرفوا بعناصرَ أفسدوا كُلَّ ما بنته الأسرة .




فقد تبني الأسرة لعدة سنين بعض القيم في هذا الولد فيهدم الرفقاء والأقران كل ما بنته الأسرة في أيام قليلة .

فقه المسئولية من البداية :

يجب علينا أن نفقه حُسنُ تعاملنا مع ما يطرأ على أبنائنا وبناتنا مِن أول ما نستلم الأمانة عنهم ومِن مقدمات ذلك، إلى أن يخرج أحدنا عن تلك المسئولية بموته أو موت ابنه وابنته، فإنها أمانة ومسئولية لا يمكن أن تتعطل ولا أن تبطل ولا أن تُلغى ، في صِغَرٍ ولا في كبر ، إلا أن نوع المخاطبة والمطالبة قد تختلف .




محطات التربية :

المحطة الأولى :

مِن حين تفكير الإنسان في الزواج وحاجته إليه واختياره لذلك المنبت الصالح ونياته فيه .

المحطة الثانية :

مِن حين الشعور بالحمل ومراحل الحمل التي تُثبِتُ اليوم دراسات أهل الظاهر وأهل الحس تأثّر مَن في البطن والجنين بما يُقال وما يَدور حوله وهو في بطن أمه .

فكلماتُ الأم التي تنطق بها والكلمات التي تسمعها الأم مؤثرة على الجنين في بداية تكوينه .. خيراً




أو شراً . وهذا مِن سر حكمة الله تعالى في الخلق والإيجاد في ربط الأشياء بما جاورها وتأثّرها بما حواليها، والذي قام مِن معناه الأثر القوي في مسألة الصحبة والمجالسة .

المحطة الثالثة :

من بداية الاستلام الفعلي للأمانة مِن حين خروج الجنين مِن بطن أمه .

فما قبله مقدِّمات وواجبات والآن سلّمك المكوِّن الخالق أمانة التنشئة والتربية بإخراجه لك مِن البطن وهو بهيئته وخلقته التي خلقه عليها مهيأً لأن ينمو وأن يكبر ظاهراً وباطناً .




واجباتنا في هذه المرحلة :

بدأت هذه المرحلة بتعاليم نبينا محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لنا بالآتي :

١. أن نبادر إلى الأذان في أذن المولود وإقامة الصلاة ، حتى تتأثر روحه ومداركه بنداء الرحمن جل جلاله وذكر اسمه واسم رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فنؤذن في أذنه اليمنى ونقيم الصلاة في اليسرى .

وكأننا نريد بذلك أن ينشأ مِن البداية محرراً مِن أن يأسره شيءٌ في الوجود فيرى أن شيئاً أكبر من الله ..




ولا كبير إلا الله .. وأن ينشأ على العهد الذي بيننا وبين الله مِن الشهادتين.

٢. ثم ما جاءنا مِن سنة التحنيك وسنة اختيار الاسم إلى غير ذلك مِن الآداب .

٣. ثم فيما بيّنتْ لنا السنة الكريمة في رضاع الأطفال واختيار الحالة التي يرضعون عليها ، والالتزام بالبسملة في كل شئونهم .

وقد كانوا يتحدثون عَن أن الرضاع يغيِّر الطباع ، وإذا خَبُثَ رضاعه مال إلى الخبيث، ولأجل ذلك كانوا يحبون أن لا تُرضِعَ المرضعةُ الطفلَ إلا وهي ذاكرةٌ لله عز وجل، وهذا يذكرنا في هذه المراحل بكثير مِن الآداب التي فقدتها الأسر ، وصرنا قد نهتم




بما تكثر الدعاية له والإعلان عنه من المواد المستحدثة إنها في صالح الأطفال، فنتأثر بالدعايات والإعلانات ونأخذها على بصيرة وعلى غير بصيرة أحياناً فيما يختلط بها مِن مواد ، ثم في ترك ما هو أفضل وأهم مِن ثدي الأم ولبنها ورضاعها للطفل والولد . .

هذه المصنوعات ما النية التي اختلطت بها ؟ وأصحابها فيهم ذاكر أو فيهم كافر؟ إلى غير ذلك . وكلها عناصر تجمعت وسط المادة وجاءوا بها إلى بيتك ، وربما كانت أيضاً مما نالته يدُ صنف مِن خبثاء الكفار مِن اليهود الذين يصنعون المواد خاصة التي تصل إلى بعض المسلمين في بعض البلاد.




كما لهم اعتناء كذلك بصياغة وصناعة البرامج للأطفال ، حتى أفلام الكرتون ما سَلِمت من أياديهم ، وما سلمت من تخطيطاتهم الخبيثة، وهذا يؤكد علينا المسئولية أمام هؤلاء الأطفال ، فما خلقهم لك ربُّ العرش والسماء لِتمتدَّ إليهم أيادي أعداءه على ظهر الأرض وسقطة الخلق مِن المبعودين عنه و يصلون إلى وسط بيتك بواسطة هذه البرامج من هنا ومِن هناك.

٤. المحافظة عليهم منذ الصغر ومِن قبل سن التمييز فيما ينظرون وفيما يسمعون ، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦]




وقد ربط الحق بين الفؤاد والسمع والبصر لقوة الآثار بينها والتلازم والترابط ، فاهتمامنا بما يسمعون وما يبصرون في خلال هذه المراحل قوي الأثر ، لأجل هذا ينبغي أن نؤدي دورنا ومسئوليتنا أمام هذه المهمة في هذه المرحلة التي يكون فيها الناشئ بيننا غالبٌ عليه محبة اللعب في وقته ، وهو وقته بالنسبة له .

التقليد في حياة الأطفال :

قال الإمام الرملي في منظومته :

إذا قلبـــه كالشـــمعة المقصـــورة

وجـــوهر يقبـــل كـــل صـــورة




شأنه التقليد فيقلدك ويقلد الكبار في البيت، فتجده يقلد أباه ويقلد أمه ويقلد مَن يعرفه مِن الكبار، ولهذا حتى ألعاب الأطفال إذا نظرت إليها فستجد كثيراً منها عبارة عن تقليد للكبار ، فهناك ألعاب يعملون مِن خلالها بيتاً ، وألعاب تحاكي السيارات والمسابقات والزواجات وأحيانا يزجون بأنفسهم إلى المصارعات والأشياء التي يعملها الكبار، لماذا ؟ لأنهم في الصغر مفطورين على التقليد ، ومِن هنا وجب عليك حماية ما يسمع وما يبصر لأنه يحب أن يقلده ويحب أن يتبعه بعد ذلك.




المسموعات والمرئيات في حياة الأطفال :

وفي هذا نجد أن أكثر المنشورات الآن من القصص يحجب تماماً عن هذه المعاني، فيعطونهم قصصاً ملغمة بأنواع الألغام وهذا مؤثر قوي على فكر الإنسان وعلى نوعية اختياره للأشياء ، ولهذا لابدَّ مِن عودتنا إلى إشباعِ أفكارهم وعقولهم بالسيرة الكريمة وبسير الصالحين والأخيار حتى يكونوا المُثُلَ العُليا في أذهانهم لا الذين تنشر عنهم وسائل الإعلام.

أين إعلامك أنت مع ولدك؟ أتتركه لهذه الوسائل التي أكثرها بيد ساقطين؟ وأكثرها بيد




بعيدين عن الله تعالى فتسلِّم ولدك لها؟! .. أين إعلامك أنت للولد؟ لا بد أن يكون الولد متأثراً بما تنشره له وبما تربيه أنت عليه مِن هذا التعلق .. فترى مَن يعظِّم ؟ ومَن يَكبر في عينه؟ ومَن يكبر في نظره مِن النبيين والمرسلين .. يقول الله جل جلاله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١] ، ويقول تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] ، فأي مؤسسة في العالم تعطي أحسن مِن هذا؟ .. إذا الله يقول ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ فلماذا نهملها ونتركها ؟ أي مؤسسة في




العالم ستأتي لنا بقصص أحسن منها ؟ هذا هو أحسن القصص الذي يجب أن يعود إلى أذهان أبنائنا وبناتنا.

ملحظ لطيف في معنى قوله تعالى

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ ﴾

هناك منزع لطيف كان يذكره بعض أهل المعرفة في قول الله تعالى ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ ﴾ فقال : ذكر الله خمسَ خصال وذكر مظاهرها في الحياة :




ففي السبع السنين الأولى يغلب اللعب، وفي السبع السنين الثانية يغلب اللهو، في السبع السنين الثالثة تغلب الزينة ..

المرحلة الأولى : مرحلة اللعب .

فتجده في المهد يلاعب أي شيء .. وهذا اللعب له فوائد راجعة إلى صحته وإلى إعداده لمهمته الكبيرة التي سيُقْبِلُ عليها ، مِن هنا يبدأ التفكير في اختيار كيف نلاعبهم وبِمَ نلاعبهم، وإعطاؤه ما يستحقه في هذه المرحلة مِن دون أن يكون فيه شيء مِن الإضرار على فكره وعلى خلقه .




أنواع الألعاب في أشكالها وفي مغزاها أو معناها ينبغي أن يكون لنا فيها اختيار ، ومِن خيرها أيضاً ما باشره الإنسانُ نفسُه مع أولاده مما يغطِّي هذا الجانب مِن دون أن تكون عليه تأثيرات أخرى سلبية جاءت مِن هنا وهناك ، لأنه حتى أنواع اللُّعَب لم تسلم مِن بثِّ المكر والخداع فيها ممن يتصيدون أغلى شيءٍ عندنا وهو قلوب أبنائنا وبناتنا وناشئتنا .. ولذا وجدنا في السيرة الكريمة بنفسه صلى الله عليه وسلم يتولّى بعضها .

وقد نُقِلَ عنه صلى الله عليه وسلم كثيرٌ مِن ممازحاته ومباسطاته للأطفال والنساء إلى حد أن يتبادل معهم ما يتعلق بحركتهم وولعهم في البداية




بشيءٍ من الحركات الجسدية سواءً في جريٍ بينهم ، أو في صعود على جسده الشريف، فتجده يمسك بيد الطفل ويرفعه على ظهره حتى يصل به إلى عنقه وينزله ويأتي به مرة أخرى ليقضي شيئاً مِن الوقت في هذا ..

ما ترى هذا العمل؟

عملُ مِمنْ ؟

هو لم يأتِ عبثاً . ولكن جاء ليؤكد لنا سر الأمانة في هذه الناشئة .. ويقول لنا: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ




رَعِيَّتِهِ..»[٧] أي أعطوهم مِن وقتكم ومن فكركم ما يكفيهم ولا تعرضوهم لأن تتلقفهم أيادي غيركم .

وأيادي الغير اليوم دخلت علينا بوسائل كثيرة حتى وصلت إلى ديارنا ، فهم في أبعد مكان منك في العالم ولكن فكرهم وتخطيطهم قد يكون موجوداً وسط دارك يُلْعَبُ به على عِيالك .. فلهذا احتاجت المسألة إلى فقهٍ ووعيٍ يتناسب مع عظمة المهمة .

ومع سلبيات هذه الانفتاحات الموجودة في العالم والتداخلات التي تداخل بها الغث بالسمين

---

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر، باب العبد راع في مال سيده (٣/ ١٢٠/ ٢٤٠٩) دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .




والخير بالشر وأدت إلى ما أدّت إليه، مع كل هذه السلبيات يوجد إمكانية استعمالها عند اللبيب الفطن الحازم فيما ينفع وتجنب أضرارها ، ولكن أضرارها على العامة أكثر وأكثر ..

فيما يتعلق باللعب وكيف يلعب؟ ومَن يلاعب؟ عندنا في سير السابقين كثير مِن هذا المعنى .. فقد كان المجتمع نفسه مربّى وكان مهيكلاً هيكلةً لائقةً بالتفاعل مع التربية وقد فاتنا الكثير ..

فعلى سبيل المثال كانوا يذكرون عن أحد رجال العلم والتربية في الوادي وهو الحبيب محمد بن حسين الحبشي الذي انتقل فترة إلى مكة المكرمة مِن أجل أداء الدور في التعليم والتربية ، وكان عنده أولاد




فكان - وهو المتقلد لأعباء الإفتاء والتدريس والدعوة إلى الله - يخرج مع الأولاد في سن الطفولة بعض الوقت إلى المكان الذي هيَّئه لهم في الحوش وسط داره يلاعبهم ... لماذا حوشٌ وسط الدار ؟ مِن أجل أن لا يختلطوا ببقية الأبناء .. وهذا في سَنَة كم وفي أي بلد ؟؟ في مكة المكرمة .. و أيادي اليهود والنصارى ما وصلت إليها ، واليوم تخرج مِن الحرم فتجد الأسماء الغريبة - وبعضها مستهجنة حتى في بلاد الكفر وفي بلاد الغرب - موجودة على بعض المحلات والدكاكين جنب الحرم ، هذا في وقتنا اليوم .. لكن في ذلك الوقت لا يوجد شيء مِن هذا ، ومع ذلك لا يرضى لأولاده أن يتعرضوا لمسموع أو منظور




يرونه ، ولا يسمح لهم بالخروج مِن هذه الحدود إلا إلى الحرم ومعه وليس بمفردهم حرصا عليهم إلى هذا الحد ، هذا كله من أجل أن تعرف بعد ذلك المعاناة التي يعانيها الأب منهم في سن المراهقة لأنَّ المراحل السابقة كان فيها خلل .. فصَعُبَ عليه الأمر وقت الكبر حينما كبروا . لأنه فسح المجال للتأثيرات السلبية الكبيرة في البداية .. فلما بدأ الولد يكبر لم يعرف كيف يعمل .

المرحلة الثانية : مرحلة اللهو :

ثم تجده بعد السبع الأولى يميل إلى شيءٍ مِن الأصوات وإلى شيءٍ مِن الأناشيد وإلى شيء مِن




الآلات أو الطرب ، فهنا يبدأ وقت اللهو فيميل إلى أنواع من اللهو ، وعندنا في الشريعة ترتيب لما أباحته لنا مِن اللهو المباح الذي لا جناح فيه ولا آثار سلبية فيه ، ينبغي أن يسد ذلك المسد حتى لا يؤدي اللهو إلى ما كُرِهَ في الشريعة وإلى ما حُرِّم بعد ذلك ، وهذا الذي جاءتنا به الآدابُ النبويةُ والتعليماتُ مِن رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله ..

فنجد في صحيح البخاري عن عائشة، أنها زُفَّتْ امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله صلى




الله عليه وسلم: «يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ»(٨)

فيُنظَّمُ اللهو ويُرتَّب ليكون متناسباً مع المقاصد السامية لهذا الإنسان في خلافته عَن الله تبارك وتعالى في هذه الأرض .. فلم يأمر باستقبال حفلات الزواج بالصمت والسكوت .. بل سمح لهم بقليل من اللهو لكنه مرّتب ومنظم ومعدل.

وهذا الذي قد رُتِّب في مثل مجتمعاتنا على مدى قرون ثم حصلت التجاوزات فيه والخروج عن الحد، وإلا فقد رُتِّبَتْ فيه شئون الشرح والإنشاد ..

---

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة ، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها (٧/ ٢٢/ ٥١٦٢) دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .




إنشادٌ وسط الجلسات الرئيسية في الزواج وفي كثير مِن الأحوال ليدلك على الوعي الذي كان مخيِّماً على عقليات الناس في تفاعلهم مع دورهم في الخلافة وأداءِ الأدوار حتى فيما يتعلق بجوانب الغناء والإنشاد وما يتعلق بشئون اللهو .

المرحلة الثالثة : مرحلة الزينة :

تجد الولد عندما يدخل مِن مرحلة اللهو إلى مرحلة الزينة في السنة الرابعة عشرة مِن عمره يغلب عليه في هذه الفترة النظر إلى لباسه والالتفات إلى شعره و إلى أناقته وزينته ويكثر من النظر في المرآة ، وكان قبل ذلك السن ليس بهذه الصورة.. لكن يغلب




عليه هذا الأمر في هذا الوقت ، فهنا يحتاج إلى ربطه بمعاني التزين للصلاة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] وأنه محل نظر الحق سبحانه وتعالى «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[٩]

ونعرِّفه المقصودَ مِن الزينة، والمقصودَ من التزين، وما جاءت به الشريعة مِن قص الأظافر ، وما تعلق بخصال الفطرة ، ومِن الآداب في اللباس وغيره حتى لا يبقى الأمرُ منفتحاً على ما يضره ، وحتى تبقى الزينة نفسها مربوطةً بمعاني السنة ومربوطةً باستبعاث زينة الباطن مع زينة الظاهر ، وإرادة التزين

---

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود ، باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩٣/ ٩١) دار إحياء التراث العربي .




لله سبحانه وتعالى بالزينة الظاهرة والزينة الباطنة .. فيكون المقصود مِن الزينة هو الحق سبحانه وتعالى ، وبذلك نتذكر ما جاء في الحديث مثلاً في استعمال الطيب فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَطَيَّبَ لله جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ الله جَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرِيحُهُ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ»(١٠) .

فانظر كيف يربينا صلى الله عليه وسلم حتى في استعمال الطيب أن نتطيب لله .. كيف نتطيب لله؟ نتطيب لله بأن يكون الدافع والقصد تعظيم الشعائر

---

(١٠) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه عن اسحاق بن أبي طلحة، باب المرأة تصلي (٤/ ٣١٩/ ٧٩٣٣) المجلس العلمي- الهند الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ .




وإظهار النعمة ، وتجنيب إخواننا الروائح السيئة والكريهة التي حرَّم الله على صاحبها أن يقرب المسجد حتى لا يؤذي غيره ، فقد جاء في الحديث «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا»(١١) ونجد الفقهاء يقولون : لو أن إنساناً أنفق ثلث ماله في الطيب لا يُعَدُّ سفيهاً ولا يُحجر عليه ؛ لأنهم عدّوا أن هذا فيه إصلاحٌ لأمرٍ مطلوب في الشريعة ..

---

(١١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله، باب نهي من أكل ثوما (١/ ٣٩٥/ ٥٦٤) دار إحياء التراث العربي . وفي رواية البخاري «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا» برقم ٥٤٥٢




وهكذا كانوا يذكرون عن أبي عبدالله المجمِّر الذي كان مشغولاً بتطييب المسجد ، فكان يحمل الجمرة ويبخر المسجد ويطيبه دائما ..

فهذا بيانٌ مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا في ربط هذه الشئون في الحياة بالمعاني الرفيعة .. ونعلمهم أن القدوة في الزينة رسول الله ، والقدوة في الطِّيب رسول الله لأنه لا أزين منه ، فلا نجعل الزينة تجلبهم إلى تعظيم الحقير ولا أن يدخل إلى قلوبهم مَن هو ساقط مِن عين العلي الكبير جلَّ جلاله .. بل نجعل الزينة مربوطة بتعظيم رسول الله وتعظيم أصحابه وتعظيم صالحي الأمة ، فهم أهل الزينة الظاهرة والباطنة على وجه الحقيقة وهم محل القدوة.




فمن خلال مَا عرفت أن الحق سبحانه وتعالى يطوِّر عندهم التوجهات والتشوفات النفسية مِن طور إلى طور فأحسن التعامل معها باستعمالك أنتَ لهذه الآداب النبوية في الخطاب و في التعامل و في الخروج عن ما تسمع مِن الإفراط والتفريط في كل صفة . ففي كل مجال إفراط وتفريط ولا بد مِن الخروج عن هذا والاحتياط خصوصا في مثل زماننا ، فإن خِطَط أعدائنا قد ضَمِنَ الله لنا أن لا تؤثِّر فينا إلا إن أخذناها نحن ، و نفذناها نحن ، أما مِن دون أن تمتد إليها أيدينا فمهما عملوا فلن يقدروا أن يؤثروا علينا ، ولا يُسلَّط على الأمة عدوٌ مِن خارجها أبداً ..




ولذلك نجدُ أنَّ كل ما نجحَ فيه الكفار وسط المسلمين اليوم ما وصلوا إليه إلا بعناصر منا و مِن بيننا و مِن وسطنا .. أما مِن دونهم فجميع كفار العالم لا يقدرون على شيءٍ ينالونه منا ، ولكن عندما يجدون مِنَّا من يبيع قِيَمه ومن يبيع دينه يستعملونه عنصراً لهم لنشر شرهم وفسادهم ، فهذا هو البلاء الذي تُصاب به الأمة والعياذ بالله تبارك وتعالى .

ولهذا إذا سمعت في أقوالٍ منتشرةٍ بين العامة مِن مثل (إذا كبر ولدك فخاوه) .. يعني آخه وعدّه أخاً لك .. فهذا يبين جانباً مِن مسألة كيفية التخاطب والتعامل ، ولا يلغي مسألة الأبوة وحقها ومحل اعتبارها .. وكان الأمر واضحاً في السابق ، ولكن




بدأت الآن فيه الإشكالات مِن خلال المصاحبات والاتصالات بالناس في المراحل العمرية الأولى .

يبدأ في هذه المرحلة عند الولد شيء مِن الاستقلالية والشعور بالنفس والشعور بالعقلية ويرى أنه أصبح عاقلاً فلهذا يجب أن يكون الكلام معه بمنطق عقلاني ووجداني معاً، يكون وجدانياً عاطفياً لكن فيه حِس الدليل والعقل والمنطق حتى يكون أقرب للاقتناع وآخذا للأمر بقوة . وعلى كل حال فلا يمكن إغفاله وإهماله سواءً رأيتَ استجابته لك أو رأيتَ بداية مواجهة للمخالفة في الأمر، ولو بالاستعانة بغيرك مِن العقلاء أو بعض الأقران الذين




يقربونه في السن مِن أهل الخير وبما ذكرنا مِن البقايا الطيبة الموجودة في المجتمع مِن جلسات أو مجالسات أو حلقات تعقد ، مع امتلاء أذهانهم بمعاني السيرة النبوية وسير الصحابة وسير الصالحين هذا أمر يكاد يكون أساسياً في صلاحهم وفي حفظ الله لاختياراتهم وإراداتهم وأفكارهم ، فينبغي أن تتشبع أذهانهم وعقولهم بسيرة رسول الله وبسير الصحابة وبسيرِ صالحي الأمة وأخيارها .

وأكبر ما يُجرِّئ الابن على الخروج عَن الأدب مع والديه ومع بقية الأسرة أصحابه وجلساؤه، ولكن أصحابه وجلساؤه أنّى يتمكنوا منه ويصلوا إلى عقله وقلبه إلا إن كان هناك تقصير سابق مِن الآباء




أنفسهم وعدم يقظة وعدم انتباه ، فلا يكفي أن تقول أنك أرسلته إلى المدرسة أو أنك قلت له أن يذهب بعد المغرب إلى المحل الفلاني .. وهل يترك الشيطانُ الناسَ الذين ذهبوا إلى أماكن الخير مِن غير تفكير منه في صدهم عنها .. يقول : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦].. لأن الذين ذهبوا إلى محل الشر قد صاروا في القبضة فهم أصحابه ومنفذين لأوامره وأعضاء ناجحين معه ، لكنه يذهب إلى أماكن الخير كما قال: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

وهذا تجد الشيطان يرسل عناصره إلى المحل الطيب مِن أجل أن يلوي الناس فيأتي الضرر مَن




وسط المحل الطيب ؛ مِن وسط المسجد أحيانا و مِن وسط حلقة العلم أحيانا أخرى .. يتعرَّف الولد على أحد الطلاب فيربي وسطه شيئاً يكون في البداية خَفِيًّاً ثم يظهر وإذا به صار شيطاناً كبيراً ، فحتى مع إرسالك له إلى محل العلم وإلى المسجد .. انتبه ، فما يكفي أنك أرسلته إلى المسجد أو أرسلته إلى حلقة العلم .. نظرتك إلى مَن يجالس ، ونظرتك إلى مَن يختار مِن الأصدقاء مِن البداية، ومساعدته على ترك الجليس الذي يخاف عليه الضرر منه مِن بداية الأمر – هذا في ذات الولد –

ومِن الداخل لا تفتح له الجسر مِن وسط دارك من خلال الأفلام التي يشاهدها والأشياء التي




يراها . فتصير جِسراً بينه وبين شرار أهل البلد أو الغافلين في البلد مِن وسط دارك .. فتكون الثغرة انفتحت مِن الداخل ويكون مِن السهل التأثير عليه مِن الخارج.

إذن فالمسألة تحتاج إلى يقظة ، وإلى انتباه ، وإلى استعمال حق الولاية والتأديب في ضوابطه بلا إفراط ولا تفريط ..

الضرب وميزانه في الشريعة :

ما تسمعون مِن كلام عن الضرب أو عن وسائل التأديب نقول فيه : أن الانتقادَ للضرب مِن أصله وفتح بابه على مصراعيه ليتحول إلى ما يسميه




الفقهاء عندنا في الشريعة بالضرب المبرِّح كلاهما خطأ .. فالأفكار التي جاءت لإلغاء الضرب مِن أصله كانت على غير بصيرة ولم تؤدي إلى سلامة ولا إلى استقامة ، والتي فتحتِ الباب على مصراعيه وأن كل شيء بالضرب والضرب هو الأساس أيضا فاشلةٌ وخاطئةٌ ومخالفةٌ للسنة الكريمة .

وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ»(١٢) أي : علِّق السوط حتى لو لم يكن هناك ضربٌ لتذكِّرهم بأن المسائل فيها محاسبة ، وإن كلاً

(١٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن ابن عباس (١٠/ ٢٨٤/ ١٠٦٧١) مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية




لابد أن ينتبه مِن نفسه .. بمعنى : كن رجلاً إيجابياً وواقعياً وحازماً ولا تترك الأمور سائبة دائماً ولا تجعل الضرب هو الأول.

كما شرع لنا سبحانه وتعالى الضرب حتى مع نسائنا ، ولكن بأي وسيلة وفي أي مرحلة .

قال تعالى ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٣٤] فلابدَّ أولاً من أداء دور الوعظ كاملا ، وبعد الوعظ والهجر عند خوف النشور يأتي قوله ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ فما هو الضرب؟




الضرب : مجرَّد تهييب يثبت معنى القوامة والرجولية مِن دون اعتداء ، وكان الصحابة يمثلون لذلك بنحو الضرب بالسواك ؛ هذا هو الضرب ، لا يتجاوز هذا الحد ، فكذلك مع الأبناء ، ولكن في الغالب عند استعمال الأساليب الطيبة الحسنة لا يحتاج الإنسان إلى هذا ولا يصل إليه ، وهذا الذي كان في حياته الشخصية صلى الله عليه وسلم ، قالت السيدة عائشة «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله ..»(١٣) وإذا جاء وقتُ حدٍ من الحدود أمرهم أن

---

(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة ، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح (٤/ ١٨١٤/ ٢٣٢٨) دار إحياء التراث العربي – بيروت




يضربوا وما كان يباشر ذلك بنفسه لكنه يحضر معهم، حتى في الرجم حضر ولم يرجم بنفسه ، ومع ذلك حَمى عِرض الذي رُجِم .. فانظر إلى ميزانه الدقيق صلى الله عليه وسلم في معالجة الأمور . وهذا الذي اختاره عليه الصلاة والسلام مسلك الكمال ، ومع استعمال الإنسان للأساليب الطيبة لا يحتاج إلى الوصول لهذا .

عند هذه المرحلة بعد السبع الثانية يأتي دور الانتباه والاهتمام الأكمل وهو مباشرة التوجيه المقرون بمعنى الإقناع ومعنى امتلاك نفسية الولد وقناعاته ومشاعره وإدراكه وأحاسيسه ، بحيث لا يمكن أن يُهمَل ويُترَك .




وإذا انتبهنا من الثغرات الأولى وهي مجالسيه و مشاهداته و مسموعاته هيأناه لأن يكون صالحا .

يضاف إلى ذلك أيضاً الانتباه مِن كيفية قضاء الوقت والانتفاع بما هو نافع في المجتمع مِن مثل الحلقات سواءً كانت حلقات التقوية لدروس المدرسة التي يتلقاها أو علوم الشريعة بما فيها من آداب وأخلاق و عدم الاتكالية على ذلك بمجرد الحضور بل بملاحظة حضوره الفعلي وضبط الوقت في ذهابه وفي رجوعه ، وأن لا يفضي ذهابه إلى مجالسات سيئة أو إلى جلساء سوء أو إلى أماكن خارجة عن المروءة وعن ما لا يليق بتربية الولد .




كذلك الاستفادة مِن المجالس للأب نفسه وللأبناء وهذا أمر نافع ومفيد إلى جانب المشاركة أحياناً في بعض المجالس العامة حينما يحضر الأب والابن معاً يكون له معنى وله تأثير .

وهذا تجد عموم مجالسه صلى الله عليه وسلم و عموم أنشطته التي كان يقوم بها في أسفاره كمثل ذهابه إلى الحج وغيره تجد مراحل العمر كلها موجودة معه ، وتجد في مسجده في الصلوات يأمر بالصف فيقام فيكون فيه رجال بالغين وصبيان ونساء ، يرتبهم كل واحد وراء الآخر.

وفي حجة الوداع كان الأطفال والشباب والكهول والشيوخ الكبار موجودين معه ، وكان




يقول «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»(١٤) فكان الجميع مشاركين في نفس العمل الذي يقوم به صلى الله عليه وسلم.

فعامة مجالسه في المدينة المنورة كانت كذلك .. ولما يأتي وقت خاص للجهاد ينظر إلى الذين هم أقل مِن خمسة عشر سنة فيوقفهم ويأمرهم أن يرجعوا .. ومع ذلك أبدى المجتمع نماذجَ بديعةً مِن خلال حرصهم على الجهاد .

ولما خرج رسول الله ص إلى أُحُدٍ استعرض أصحابه فردًّ من استصغر وكان منهم سمرة بن

---

(١٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر ، باب استحباب رمي جمرة .. (٢/ ٩٤٣/ ١٢٩٧) دار إحياء التراث العربي – بيروت




جندب، وأجاز رافع بن خديج، فقال سمرة بن جندب لربيبه مُرِّي بن سنان: يا أب .. أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج، وردني وأنا أصرع رافع بن خديج، فقال: مرِّي بن سنان: يا رسول الله، رددت ابني، وأجزت رافع بن خديج وابنى يصرعه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرافع وسمرة: تصارعا، فصرع سمرةُ رافعاً، فأجازه رسول الله فشهد أُحُداً مع المسلمين[١٥] .

---

(١٥) انظر تاريخ الطبري، غزوة أحد (٢/ ٥٠٦) دار التراث بيروت - ط٢/ ١٣٨٧ هـ




والآن هؤلاء في هذا السن - سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة -ماهي أمنياتهم وطموحاتهم؟

هذا منتظر مِن أحد جهاز حاسوب يعطيه إياه، وهذا منتظر شيئاً مِن مظاهر اللباس أو غيرها .. لكن ذاك يريد معركة يتعرض فيها للقتل في سبيل الله ومِن أجله .. ما هذا السمو في المدارك والأفكار والمشاعر؟

وكانوا إذا خرجوا مع آبائهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مشياته مِن أجل أن ينظر الجيش يقوم أحدهم على طرف أصابعه خشية أن يلاحظه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صغير




السن فيرده مِن الخروج في الجهاد - رضي الله عَن أولئك القوم – تلك النماذج العالية.

فانظر إلى تعلقات القلوب عند الأبناء والبنات ، بم تتعلق؟ وإلى ماذا تتشوق؟ .. وهذا نتيجة تأثير التربية النبوية أن صار المجتمع بهذه المثابة ..وكانوا قبل سنوات ليسوا بهذه الصورة .

أخذ الله بأيدينا وأيديكم وثبتنا وإياكم على ما يحب وجعلنا فيمن يحب .. اللهم اجعل هوانا تبعا لما جاء به نبيك ، اللهم أيقظنا من كل غفلة وسنة، وثبتنا على ما تحب منا، وتولنا بما أنت أهله في الحس والمعنى ، اللهم اجعل مستقر العلم النافع قلوبنا ومستقر




أربابه ديارنا واجعل مستقر الورع الحاجز قلوبنا ومستقر أربابه ديارنا ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .. ربنا هب لنا من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء والحمد لله رب العالمين .




الفهرسة


